مثل جدتي فاطمة

تأليف: أمل ناصر

رسم: ندين عيسى







كانت فرحةُ (نجمة) أوسع من
السّماء بكلّ نجومها.
وكانت فرحة الكاظم أكبر
من البحر بكلّ أمواجه.



في بطن نجمة، تكبرُ هديةٌ حلوةٌ،
يقول عنها الكاظم أنها الحنونة،
وأنيسة البيت وضحكته.
فكان الجميع يعدّون الأيام كي تأتي:
شهر.. شهران... ثلاثة... أربعة ...
خمسة.. ستة، سبعة، ثمانية،



وعندما انتهى الشهر التاسع،
ولدت فاطمة الحنونة!
كانت جميلةً، حلوةً، لطيفةً،
وهادئة..
تُحرّك يديها الصّغيرتين و"تكاغي"
برقّة.



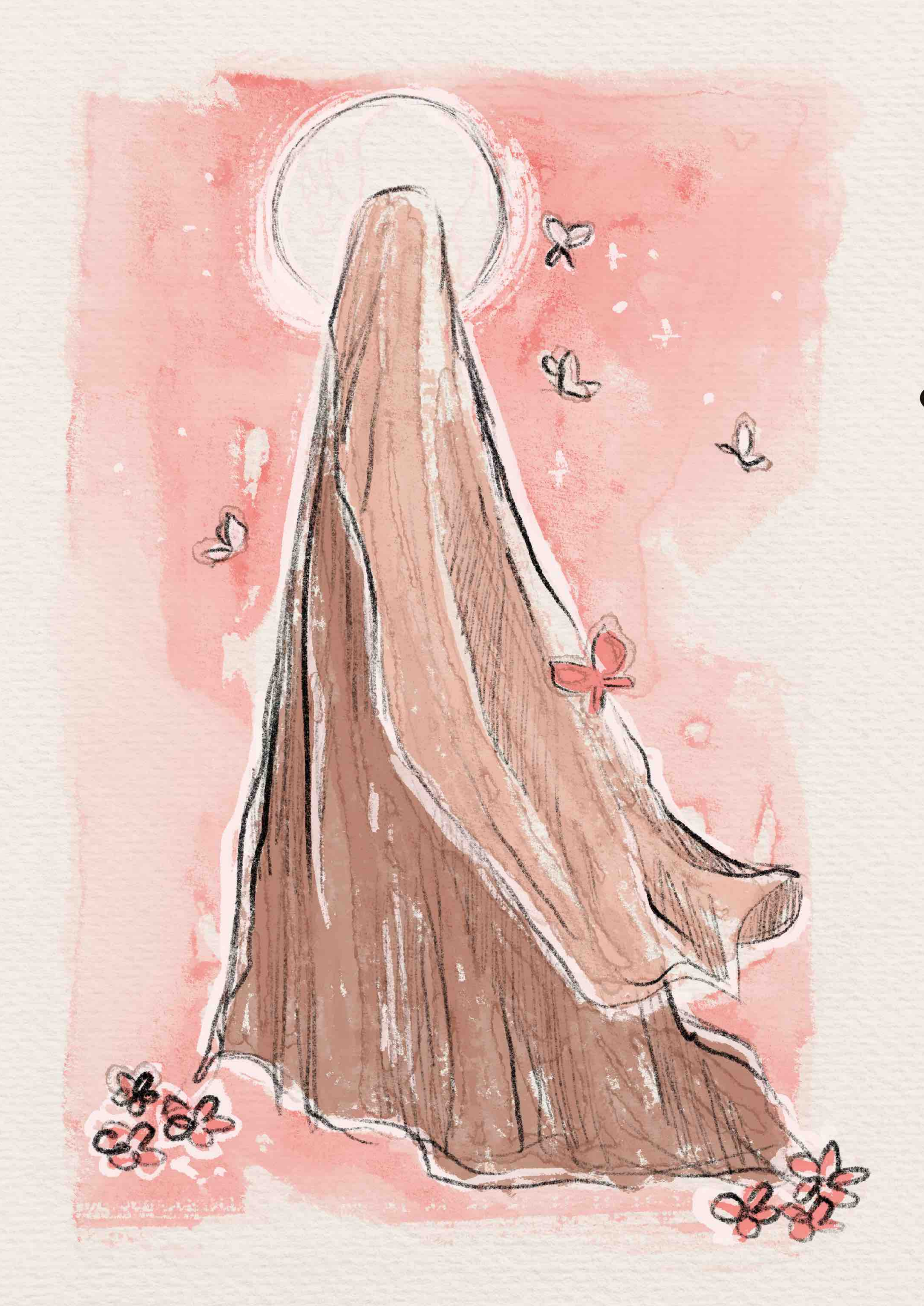
إذا ما بكت، أسرع إليها أخوها الرضا،
ومسح على خدّها وهمس لها:
فداك أخوك لا تبكي!
يلاعبها، حتى تضحك.. فيضحك
البيت كلّه.



تعلّقت فاطمة بالرضا.
يهدهدها.
يحملها على أكتافه،
يدور بها دورات ودورات.
وعند سجوده، كان يجدها تضع
وجهها الصغير على ظهره، ثمّ تقبّل
جبينه ومكان سجوده.
وإذا ما جُرح أو تأذى، تركض وتقبّله.
وتحاول أن تداويه.



تعلّق الرضا بفاطمة، فكان لا يأكل
إلا إذا أكلت الحنونة فاطمة.
ولا يشرب إلا إذا شربت.
يسهر على مرضها.
ويحرص أن لا تجوع ولا تبرد
وأن لا تؤذى.



مرة، سألت فاطمة، أخاها الرضا:
علمني كيف أصير مثل جدتي الزهراء؟
فيكون شيء من الجنّة من نصيبي؟
ابتسم الرضا، وقال: كوني معصومة!
غفت عيون فاطمة تلك الليلة، لكن،
قلبها الحنون كان يفكّر: كيف أكون
فاطمة المعصومة؟



اختارت فاطمة الحنونة، أن تكون
كابتسامة الرضا حين أخبرها أن
تكون معصومة.
فكان وضوؤها حنون.
وصلاتها حنون.
وصيامها حنون .



سترها وحجابها كان مملوءًا
بالحنان والجمال.
وكلامها لطيف موزون.
وخطواتها رقيقة كأنها النسيم.
إذا ما مرّت كان الأطفال يحيطون
بها، ليسمعوا كلامها الحنون
والحلو كالعسل.



والنساء كن يلجأن إلى عباءتها،
يشكين لها أحزانهن،
ويأخذن بنصيحتها. ليعدن إلى بيوتهن،
فيحولنها جنة.
وأصحاب السؤال، كانوا يقصدونها،
فتجيبهم، وتعينهم على طلب العلم.
حتى قال عنها والدها الكاظم:
فداها أبوها.



فاطمة الحنونة، كانت تحبّ أن تتعلّم، وتسأل..

وكان الرضا يعلّمها بكلّ حبّ.



بحفظ السيدة الحنونة، صارت تلك
العبارة الدافئة، التي يرددها الأحباب
لبعضهم، كي يصحبوا دفء وبركة
وحنان هذه السيدة الجليلة الحلوة،
والتي من زارها كان له نصيب من
الجنّة.